



عجبية تلك الأيام، تتساقط كأوراق الخريف، وتخفي كالطيور المهاجرة، و لا يبقى منها إلا الذكريات والغَيْر.. عاشوا طويلاً في أحضان الصحراء، تحملُهم خُيولهم، وتطعمُهم رماحُهم، وتبُلُّ الآفاقَ أنفَّهم.. صَلَّت نُفوسهم قساوة الحياة فيها، وأطربت مسامِعهم قوافي مُدعِّعِيهَا، فتعاشوا معها السنين الطِّوال، لا يُنْغَص عيشهِم إلا جاهليَّة جهلاء، ابتليت بها البشرية بأكملها، على فترٍ من الرُّسل وضلالٍ من الناس.

فما أوشكت الساعة أن تقوم إلا بعثَ الله فيهم رسولاً من أنفسهم يبلغُهم رسالَة ربِّهم ويعلّمُهم أركانَ دينهم ويرشدُهم سبلَ الهدى والفلاح، فاتبعوه بإحسانٍ وَيَقِنَّ، وساروا معه يشقّون عبابَ الأرض دعوةً وجهاداً، فقرآنهم يهدي الضُّلَالَ، وسيفهم يقصِّمُ الطُّغَاةَ.

وكل دعوةٍ ناشئةٍ يقفُ أشقياءُ الأرض بالمرصاد لها، همَّهم إطفاءُ نورِ الله بأفواهِهم، ومناصبُهُم أهلُها العداء، فما عرفوا القوم إلا عباداً لهم أذلاء، يرعنون الإبل والشاة، لا يجمعُهم رأيٌ ولا توحدهم كلمة.

تنصارعُ قوى الأرضِ من حولِهم فُرساً كانوا أم رومانٍ ويقيون هم الغنائم المنتظرة، فتارةً تخضع الشامُ لذاك وتارةً تدينُ العراقُ الآخر.

لكنَّ أمراً عجيباً يحدثُ الآن، فالقوم ليسوا القوم، آمالُهُم تحولت وتطلّعاتُهُم اختلَفت، فاستبدلوا سياسةَ الإبلِ بسياسةِ الشعوب، وانتقلوا من تبعيةِ البشر إلى تبعيةِ اللهِ العظيم.

فما عادت أقوى جُيوش الأرض تُخيفُهم ولا أكثر الحشود ترهبُهم، فهم المُؤيَّدون بالرسالَة والوحي، الحاملون للواء الهدى والفلاح، الموعودون بالنصر الإلهي.. فتراهم يسرون بإيمانٍ وَيَقِنَّ ينشرون دعوةَ ربِّهم ويزِّحُون عن كاهل البشرية أنقالَ الظلم والعبودية المقيمة.

فتحاملَ عليهم من تحامل، وتکالبَ عليهم من تکالب، فها هم بنو فارس يحشدون الحشود لِيَوْمٍ مشهود، همَّهم هزيمةَ هذا الواقدِ الجديد وذكريائِهم حبيسةَ السلاسل، أغرتُهم أعدادٌ كحباتِ الرمال وأمَّلُهم ماضيَ القومِ القريب، و ما دروا أنها نطةٌ

أو نطحتان ثم لا تكون فارس.

هكذا تنتهي الدول وبتلك السهولة تنهار، فالباطل لا يغنى عنهم شيئاً، وما صمد باطلٌ بوجه الحق لعظمٍ فيه يوماً، فوعدُ الله تعالى لأنصاره بالنصر لا يخالطه شكٌ ولا تغريه ريبة (إنا لننصرُ رسالنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد)، فنصر الله تعالى قادمٌ لا محالة، لا يزعزعُ اليقينَ فيه أىٌ مفترٌ أفأك.

ولما كان دينُ المجرمِ مذ خبرناهم حقداً على هذه الأمةِ و منتبها، و حلمَ أزلياً بالقضاءِ عليها، تُلَعِّبُ مخيَّلَتَهُم أحَلامُ المدائن، و يجيئُ عواطفَهُم ذلكَ الملكُ السليم، فيُعمِّي اللهُ بهُ أبصارَهُم كما أعمى بصائرَهم، فتراهم اليوم يرسلون مهج عيونهم و فلذات أكبادهم لأرض الشام الصابرة عَلَيْهِم يحققون ما عجزَ عنه الآباء، و يعيذون لفارسَ مجدها التليد.

أما والله كم ودتنا أنَّ بيننا وبينهم جبلاً من نار فلا نقربهم ولا يقربوننا، ولكنهم أبوا إلا الكريهة و أرادوا بهذا الدين المكيدة، فسيعلمون عندما تحينُ الساعةُ أننا صُبْرٌ في الحربِ صُدُقٌ عندَ اللقاءِ ولعلَ اللهُ أن يرى اليومَ مَا يحب.

فما على الشامِ اليوم إلا فسطاطان لا ثالثَ لهما، فسطاطٌ للحقِ وأهله و فسطاطٌ للباطلِ وأهله.. فسطاطٌ يجمع صفوف المؤمنين الموحدين، أحفاد الصحابةِ والتابعين.. و فسطاطٌ يجمع صفوف الشياطين، ومن والاهم من كفّارٍ و ضُلّالٍ و منافقين.

فسطاطٌ يعلى دينِ اللهِ رايته، وينزد عن حمى الإسلامِ وأهله، منهجهُ كتابُ الله تعالى وسنةُ نبيه، وهمهُ الرضى والرضوان.. و فسطاطٌ يناسبُ هذا الدين العداء، سيفهُ تغدرُ بالشامِ وأعينهُ على البيتِ الحرام.. وأحداقُ التاريخ ترقبنا وإياهم، وكأنها لا تبصرُ إلا أسوارَ كسرى...

المصادر: